دور منظمات المجتمع المدني في تدعيم الرعاية الاجتماعية – الخدمات والبرامج الموجهة للمسنين إنموذجاً ورؤية نظرية وملامح تطويرية

م.د. أحمد حسن الربيعي م.د. أحمد جاسم مطرود

جامعة بابل/ كلية الآداب/ قسم علم الاجتماع

Role of civil society organizations in strengthening social welfare Services and programs for the elderly are a model Theoretical vision and developmental features

Ass.Dr. Ahmed Hassan Al-Rubaie Ass.Dr. Ahmed Jasim Matrood

University of Babylon\ College of Arts

Babylon2012moor@gmail.com Ahmed.hassan1965@yahoo.com

Abstract:

Civil societies have different ideologies and specializations to take care of care of the employment of social care commensurate with the nature of the specialization to which it belongs. Social care has existed since human existence. Mutual assistance among people in solving their personal and public problems was part of their daily lives, This system contains many functions and services that meet the social needs as well as provided by various community organizations, especially civil society organizations that aim to ensure an appropriate standard of living for all members of society and the elderly, including the elderly Because of its balance and social stability. This means that the responsibility for contemporary care has become the responsibility of society, whether in the form of its social / governmental organizations or informal organizations working side by side to provide social welfare to members of society This is what we saw in Iraqi society after the fall of the regime in 2003 and the democratic transition that allowed the informal organizations to play their role in promoting Social welfare of this segment through its various programs and activities that seek to care for them and alleviate their suffering and find effective solutions to their social problems.

Keywords: Civil Society Organizations, Social Welfare, Elderly .

الملخص:

حرصت المجتمعات المدنية على اختلاف ايديولوجياتها وتخصصاتها على العناية بتوظيف الرعاية الاجتماعية بما يتناسب مع طبيعة التخصص الذي ينتمي إليه، وقد وجدت الرعاية الاجتماعية منذ وجود الإنسان، إذ كانت المُساعَدَة المتبادلة بين الناس في حل مشاكلهم الشخصية والعامة جزءاً من حياتهم اليومية، وهي نظام لإحداث التغير، إذ يحتوي هذا النظام على العديد من الوظائف والخدمات التي تقابل الاحتياجات الاجتماعية فضلاً عما توفره منظمات المجتمع المختلفة لاسيما منظمات المجتمع المدني التي تهدف إلى تأمين مستوى مناسب من العيش لكافة أفراد المجتمع وشرائحه ومنهم كبار السن لما تحققه من توازن واستقرار الاجتماعي، وهذا يعني أنَّ مسؤولية الرعاية المعاصرة اصبحت مسؤولية المجتمع سواء أكان في شكل منظماته الاجتماعية الحكومية/الرسمية أو المنظمات غير الرسمية التي تعمل جنباً إلى جنب على توفير الرعاية الاجتماعية لأفراد المجتمع. إذ تعد فئة المسنين إحدى فئات التربية الخاصة التي أخذت تتزايد نسبتها في الآونة الأخيرة الأمر الذي بدأ يؤرِّق المختصين عن كيفية التعامل مع اضطراباتهم وأوضاعهم، وهذا ما لمسناه في المجتمع العراقي بعد سقوط النظام عام 2003 والتحول الديمقراطي الذي أتاح للتنظيمات غير الرسمية أن تأخذ دورها في تعزيز الرعاية الاجتماعية لهذه الشريحة عن طريق برامجها وأنشطتها المختلفة التي تسعى إلى رعايتهم والتخفيف من معاناتهم وإيجاد الحلول الناجعة لمشكلاتهم الاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: منظمات المجتمع المدني، الرعاية الاجتماعية، المسنين .

المبحث الأول: العناصر الاساسية للدراسة

Basic elements of the study

أولاً/ مشكلة الدراسة Problem of study:

تسعى الدراسة للإجابة على تساؤل مهم بل رئيس: ما هو الدور الذي تلعبه تنظيمات المجتمع المدني العراقية في تعزيز وتدعيم الرعاية الاجتماعية التي ارتبط وجودها مع التحول الديمقراطي بعد عام **2003**، ويتفرع منها اسئلة اخرى المتمثلة بما يأتي:

1. ما دور مؤسسات المجتمع المدني في ترسيخ الحقوق والحريات العامة لكبار السن من خلال التنظيمات المختصة بهذا المجال؟
2. ما هو نوع البرامج التي تستخدمها للرعاية الاجتماعية لكبار السن في هذا المجال؟
3. ما هي المعوقات والمشاكل التي تواجهها في عملها؟ وكيف معالجتها؟

ثانيا/ أهداف الدراسة وأهميتهاStudy objectives and importance:

تعتبر هذه الدراسة ذات طابع تحليلي وتفسيري ضمن دراسات السياسة الاجتماعية، بمعنى امكانية توظيف ما قد يفسر عنها من توصيات لتحقيق اهداف تطبيقية وعملية لصانعي السياسات التنموية في المجتمع، فهي تهدف الى توضيح وبيان دور تنظيمات او مؤسسات المجتمع المدني في تعزيز وتدعيم الرعاية الاجتماعية وبرامجها المختلفة من خلال الالية الارتباطية التي تعكس العلاقة التفاعلية بين هذين المتغيرين في ضوء انتشار وازدهار هذه المنظمات في العراق بعد التحول الديمقراطي عام **2003**.

وتأتي اهميتها من الناحية العلمية الاسهام في ايجاد دراسات متخصصة في مجال مؤسسات المجتمع المدني والرعاية الاجتماعية تتيح لنا معرفة كافة جوانب هذا الموضوع وإدراكنا للمفاهيم الرئيسة، وكذلك تطبيق منهج علمي حديث لكي يساعدنا في التوصل الى معلومات دقيقة ومن ثم التوصل الى نتائج ومعالجات بهذا الشأن، اما من الناحية العلمية تتناول هذه الدراسة موضوعا يهم السياسيين والاقتصاديين والاجتماع وعدد كير من الناشطين في المجتمع العراقي لمعرفة فاعلية وتأثير هذه المنظمات بالميدان في المجتمع العراقي، باعتبارها مؤسسات ذات وزن وقوى مهمة، فالاطلاع على هذه المؤسسات وإسهاماتها يعتبر مرجعية للمسؤولين وصناع القرار، وبالتالي هذه المساهمات تساعد في تطوير وتنمية المجتمع العراقي والتي تعتبر شريحة المسنين من اولويات رعايتها في كافة الجوانب ولما يشكله من استقرار وتحقيق الامن الاجتماعي المنشود.

ثالثاً/ تحديد المفاهيم Identifying Concepts:

من الضروري ان نوضح المفاهيم الاجتماعية المستخدمة في بحثنا هذا نظرا لاتساع قواعد ونشاطات العلوم الاجتماعية النظرية منها والتطبيقية قد ادت الى تعقيد مفاهيمها ومشكلات تتعلق بتعريفاتها وبالتالي اختلافاً ظاهر حول مضامينها.

وأصبح الامر يلتبس كثيرا سواء على المختصين او على القراء بعد ان اصبح لكل مصطلح تقريبا دلالات وأهداف متباينة. وفي ما يلي لأهم المفاهيم المستخدمة في هذا البحث:

1. المجتمع المدني Civil Society:

المجتمع المدني مفهوم حديث نسبيا، ورد ذكره في سياق العولمة *الثقافية التي غزت العالم الثالث في السنوات الاخيرة في اطار العلوم الاجتماعية والسياسية، فهو يشير الى تنظيمات اجتماعية وليس الى الافراد، وقد اتفقت معظم استخدامات المصطلح على انها تنظيمات ذات طابع اختياري لأعضائها غير حكومية تنشا لخدمة مصالح وأهداف مشتركة تعظم من قدرات الأفراد، فهي تنظيمات وسيطة بمعنى انها ليست ذات طابع قانوني لإدارة المجتمع السياسي أو إدارة مرافق الدولة، وهي ليست وراثية تظم الفرد منذ ميلاده كالعائلة او القبيلة، بل هي تنظيمات تملا فضاء النشاط الانساني التلقائي الحر وتحقق المواطنة بمفهومها الحديث، وتخرج الناس من نطاق ذواتهم ومصالحهم الشخصية التي تتصف بالأنانية وتدربهم على ممارسة الديمقراطية عبر روابط اجتماعية، وتوفر التماسك الاجتماعي الذي يتجاوز المصالح الانية للافراد[1]، وان هذه التنظيمات القائمة التي تشكل اركان

* لعبت ظاهرة العولمة دورا مؤثرا في تعظيم حجم منظمات المجتمع المدني وتحديث نوعية الادوار المعاصرة التي تؤديها في تنمية المجتمع، وهي ادوار تختلف الى حد كبير عما كانت تقوم به هذه المنظمات في الماضي .

1. محمد سعيد فرح: مجموعة من الدراسات والبحوث في علم الاجتماع، مركز البحوث الدراسات الاجتماعية، القاهرة، 2003، ص289.

المجتمع المدني، وبالتالي هي المخولة بتحقيق مطالب واهداف هذا المجتمع من خلال سعيها للحقوق المدنية والاجتماعية للمواطنين ومشاركتها الدائمة والفعالة في الشؤون العامة، اما من ناحية المفهوم في الخطاب العربي المعاصر فقد عرفت ذيوعا وانتشارا كبيرين خاصة بعد التحول الديمقراطي الذي شهدته المجتمعات العربية، وهذا ما نلاحظه في خط واحاديث الجمعيات الثقافية والاجتماعية والنقابية والمهنية والاكاديمية والعديد من الاحزاب السياسية وفي ما تصدره جمعيات الدفاع عن حقوق الانسان بمختلف توجهاتها ورجال الاعمال والغرف التجارية، بل نجد ان الخطاب الرسمي والحكومي العربي يحمل في الكثير من الاحيان هذا المفهوم. ومن التعريفات المهمة له هو (انه مجموعة من المؤسسات والتنظيمات التطوعية الحرة التي تملا المجال العام بين الاسرة والدولة لتحقيق مصالح افرادها ملتزمة في ذلك بقيم ومعايير الاحترام والتراضي والتسامح والادارة السليمة للتنوع والخلاف)[1]. ويعرف ايضا هو مجمل التنظيمات الاجتماعية التطوعية وغير الارثية وغير الحكومية التي ترعى الفرد وتعظم من قدراته على المشاركة المجزية في الحياة العامة، وهناك تعريف اخر يرى ان المقصود بالمجتمع المدني كما يستخدم اليوم هو(تلك الشبكة الواسعة من المنظمات التي طورتها المجتمعات الحديثة في تاريخها الطويل والتي توزاي عمل الدولة، واذا شبهنا الدولة بالعمود الفقري فالمجتمع المدني لهذا التديد الاخير هو تلك الخلايا التي تتكون منها الاعضاء والتي ليس للجسم الاجتماعي حياة دونها، فليس هناك اي شكل من العداء بينها ولا اختلاف في طبيعة الوظائف وان كان هناك اختلاف في طبيعة الادوار)[2]، ويعرفها اخر (هو مجموع المنظمات والجمعيات والورابط الشعبية التي ينظم الناس اليها باختيارهم، وينشطون من خلالها لتحقيق اغراض اقتصادية وسياسية وثقافية وفئوية او عامة، ويفعلون ذلك مستقلين عن الدولة وربما في مقابلها)[3].

1. الرعاية الاجتماعية Social Welfare:

يميل الكثيرون من المختصين في هذا المجال الى اعتبار الرعاية الاجتماعية في الرفاهية الاجتماعية*، فقد عرفتها هيئة الامم المتحدة هي (النشاط المنظم الذي يهدف الى احداث التكيف الناجح بين الافراد وبين بيئتهم الاجتماعية، ويتحقق هذا الهدف عن طريق استخدام الاساليب والوسائل التي تصمم من اجل تمكين الافراد والجماعات والمجتمعات من مقابلة احتياجاتهم وحل مشكلاتهم عن طريق العمل المتعاون لتطوير وتنمية الظروف الاقتصادية والاجتماعية[4]، وتعرف ايضا من قبل اغلب المختصين (هي كل من الجهود والبرامج والخدمات العلاجية والوقائية والإنشائية المنظمة: الترفيهية التي تتولاها المؤسسات الحكومية والأهلية والدولية لمواجهة حاجات الافراد الضرورية الحالية والمستقبلية لتحقق لأفراد هذا المجتمع النمو والرخاء الانساني والوصول اى حياة افضل)[5]. كما يعرفها اخرون (هي كل اساليب التدخل الاجتماعي(**Social interventions**) والتي يكون هدفها الاول المباشر تطوير وتحسين الظروف المعيشية للافراد والمجتمعات ككل، وحيث تتضمن الرعاية الاجتماعية التدابير والعمليات التي تهتم بالعلاج والوقاية من المشكلات الاجتماعية كلك تنمية الموارد البشرية وتحسين مستوى الحياة، وهي تتضمن الى جانب الخدمات الاجتماعية **Social Services*** للافراد والاسر وكذلك الجهود المبذولة لتقوية وتدعيم واعادة صياغة النظم الاجتماعية[6].

3. التعريف بالمسنين Definition of elderly:

المسنون مفرده مسن، الا انه يدل على كبار السن والتقدم في العمر والشيخوخة، حيث يعرف مجمع اللغة العربية مفهوم كبار السن او الشيخوخة كالتالي: شاخ الانسان شيخا وشيخوخة: أسن الشياخة[7]، ويقال سن الرجل اي كبر واسن من هذا اي اكبر منه سنا، ويستخدم لفظ الشيخ على كبار السن، حيث تعددت تعريفات المسن تبعا للتخصصات العلمية، فمن الناحية الديموغرافية والاحصائية يعرف (انه السكان ذو الاعمار 60 سنة فأكثر)، اما من الناحية الاجتماعية يعرف (على اساس التغيرات

1 . مازن خليل غرايبة: المجتمع المدني والتكامل دراسة في التجربة العربية، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ابوضبي، 2002، ص13.
2. علي ليلى: المجتمع المدني العربي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 2007، ص19.
3. عزت حجازي واقع المجتمع المدني العربي ومستقبله، مجلة العلوم الاجتماعية، مجلة 35، ع1، 2007، ص20.
* يستخدم في بحثنا هذا الرعاية الاجتماعية والرفاهية الاجتماعية بمعنى واحد، أما العناية الاجتماعية Social Care فتقدم للفئات المحتاجة للمعاونة .
4. سمير حسن منصور وسامية محمد فهمي: الرعاية الاجتماعية (اساسايات ونماذج معاصر)، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2004، ص20.
5. احمد كمال احمد: مناهج الخدمة الاجتماعية، مكتبة الخانجي: القاهرة، 1971، ص9.
6 .Gohn M, Romanyshyn , Social welfare, N.Y, 1971, P.4.
7. المعجم الوجيز: مجمع اللغة العربية، مطابع وزراة التربية والتعليم، القاهرة، 1990، ص355.

البايلوجية وغير البايلوجية في المراكز والادوار المهنية والصحية والاجتماعية، كما يعرف المسن (انه الشخص الذي تتجه قوته وحيوته الى الانخفاض مع ازدياد تعرضه للاصابة بالامراض وخاصة امراض الشيخوخة وزيادة شعوره بالتعب والاجهاد وقلة الحركة ونقص الانتاجية او التقاعد عن العمل، ويعاني من التدهور التدريجي في قدرته على التكيف مع التغيرات التي يواجهها وتفرضها عليه ظروف الحياة[1].

4. البرامج الترويحية (الترفيهية) Recreation Programs:

هي الخدمات والمساعدات التي تقدم لكبار السن عن طريق المؤسسات الحكومية والأهلية كجماعات الترويح وتهدف الى تحقيق المتعة والتسلية والفائدة وقضاء الوقت من خلال ممارسة انشطة رياضية وترويحية او ايوائية مختلفة[2].

المبحث الثاني

المنظور التاريخي والسوسيولوجي للمجتمع المدني والرعاية الاجتماعية

The historical & sociological perspective of civil society & social welfare

أولاً/ الجذور التاريخية للمجتمع المدني وتطوره

ثانياً/ لمحة تاريخية عن الرعاية الاجتماعية

ثالثاً/ الإسلام والرعاية الاجتماعية:

توطئة

تطورت الرعاية الاجتماعية مع تطور المجتمع الانساني حتى اصبحت احدى النظم الاجتماعية التي نشأت مع المجتمعات القديمة وتطورت بتطورها وهي تؤدي وظائف لا غنى عنها لحياة الناس في المجتمع شانها في ذلك شان النظم الاجتماعية الاخرى.

فالرعاية الاجتماعية تمتد جذورها عبر التاريخ الإنساني وبلغت أوج نموها عن طريق محاولة مواكبة متطلبات الثورة الصناعية وخاصة خلال القرن التاسع عشر، فلقد تطور مفهومها من مجرد فعل الخير الغير المنظم او العفوي النابع من الرغبة الذاتية الى أن اصبحت نظاماً عاماً ومن مجرد خدمات للاحسان الطوعي الى ان اصبحت برامج مقننة للخدمة الاجتماعية، ومن الرعاية بالنسبة للفقراء الى مفهوم الرعاية كحق من حقوق كافة المواطنين الغني منهم والفقير، وهذا ما اشار اليه مارشال(**T- H- Marchll**) بتسميتها (الحقوق الاجتماعية للمواطنين **Social rights Citizen ship**) وكذلك ما اشار اليها الفرد كاهن(**Alfred Kahn**)[3] بالفوائد او المنافع الاجتماعية (**Social Utilities**) والتي تتضمن التسهيلات او الامكانات لإشباع الحاجات الاساسية دون ان تؤدي الى الشعور بالخجل او الوصمة لمن يستفيد من هذه البرامج والأنشطة المختلفة، بكلام اخر ان نظام الرعاية الاجتماعية وفلسفتها وأغراضها ومناهجها كل ذلك قد اختلف باختلاف المجتمعات الانسانية واختلاف المراحل التطورية التي مرت بها وان هذه التطورات انعكست بشكل او بآخر على مفهوم الرعاية الاجتماعية، ونتيجة لهذا التطور في المجتمع المعاصر اصبح لها فوائدها العلمية واستراتجيتها وبرامجها وأساليبها ومسؤوليتها الاجتماعية التي فرضها المجتمع المتطور، بل ان العديد من الدول اسست وزارات او مجالس او هيئات مسؤولة عن وظيفة الرعاية الاجتماعية الشمولية كما هو الحال في المجتمع العراقي المعاصر. واذا كانت حركة الاصلاح الديني قد شكلت البداية الاولى لنشاة حركة المجتمع المدني، فاننا نجد ان تطور المجتمع المدني قد استغرق ما يقرب من سنة قرون يمكن ان يميز في اطارها عدة مرحل تاريخية استغرقت كل منها قرن تقريبا وهذا ما سنتناوله في هذا المبحث بتطور مفهوم المجتمع المدني عبر هذه المراحل التاريخية وظروف السياق الاجتماعي التي فرضت تطوره.

أولاً/ الجذور التاريخية للمجتمع المدني وتطوره:

يعد مفهوم المجتمع المدني من المفاهيم التاريخية التي شهدت تحولات عديدة، فتاريخ المفهوم هو تاريخ تحولات معانيه ودلالاته من بداية نشاته مارا بتشكيلات المعرفة التي تعبر عن ظرفيه تاريخية معينة، بل ان هذا المفهوم ارتبط نشاته وتطوره

1. محمد سيد فهمي، الرعاية الاجتماعية وانفسية للمسنين، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 2012، ص31.
2. عبد الناصر سليم حامد، معجم مصطلحات الخدمة الاجتماعية، دار اسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2012، ص511.
3. احمد خاطر، الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 1984، ص16.

بتاريخ نضال الشعوب من اجل الديمقراطية والحرية والمساواة، كما عبر في ذلك الوقت عن افضل وسيلة لعلاج التعارض الظاهري بين حاجة الانسان الى الحرية وبين حاجته الى الامن والنظام، وهكذا تمت صياغته عبر هذه المراحل التاريخية المختلفة التحولات بدأ من القرن السابع عشر والثامن عشر في أوروبا حيث فرضته ظروف التحولات الاجتماعية في ذلك الوقت عندما ظهرت الحاجة الى علاقة جديدة بين الشعب والسلطة بعد انهيار المجتمع القديم (الاقطاعي) وظهور المجتمع الجديد (البرجوازي).

إنَّ التعرف على الجذور التاريخية لهذا المفهوم يقودنا الى التعرف على اهم المدارس الفكرية التي ساهمت في صياغته في اطار الفكر الغربي، مع العلم ان كل من هذه المدارس قد ظهرت في ظرف تاريخي خاص بها عبرت بشكل او باخر عن حقيقة التحولات الاجتماعية التي شهدتها الفترة التاريخية التي ظهرت خلالها، وهي بذلك شكلت حلقات مترابطة او مراحل تاريخية متتابعة في تطور المفهوم، وتمثلت هذه المراحل بمدرسة العقد الاجتماعي أولا حيث حققت هذه المدرسة احلال العلاقات المدنية محل العلاقات الطبيعية، واحتل المكان الاول في تفكير الفلاسفة والمفكرين السياسين خلال القرن السابع عشر وجزء كبير من القرن الثامن عشر، ومن هؤلاء الفلاسفة (توماس هوبز)، حيث يعتقد ان المجتمع المدني هو مجتمع السلطة المطلقة، وهو ليست بدولة فحسب بل هو دولة مطلقة الصلاحيات، أما الفيلسوف الاخر(جون لوك) الذي يقول أن المجتمع المدني هو المجتمع الضامن للحقوق المتساوية لكل الافراد إذ يتمتع الافراد بالحرية والمساواة وتحقيق السلام والأمن والمحافظة على أملاك الأفراد أما (جان جاك روسو) الذي يقول بان المجتمع المدني هو مجتمع الادارة العامة والتي يقصد بها ارادة الافراد في المجتمع ليعبر عن مفهوم سيادة الشعب، ومن خلال ما تقدم يتضح أن هؤلاء الفلاسفة ينظرون للمجتمع المدني هو المجتمع المنظم سياسيا واجتماعيا واقتصاديا.

أمَّا في ما يخص افكار المدرسة الهيجلية حيث تؤكد على دور الدولة في المجتمع المدني، لان المجتمع المدني في غياب الدولة هو مجتمع تسوده التفرقة والصراع والتمزق لتجسيد المصالح الخاصة والمتعارضة في كثير من الأحيان، ولهذا لا يتحقق له الاستقرار والوحدة إلا في وجود الدولة، وهذه الرؤية الهيجلية للمجتمع المدني هي انعكاس لأحوال المجتمع الالماني في بداية القرن التاسع عشر[1]، أما من حيث ما رأته المدرسة الماركسية حيث بينت ان المجتمع المدني هو ميدان الصراع الطبقي المؤسس للدولة، اي بكلام اخر ان المجتمع المدني هو فضاء الصراع بين الطبقات الاجتماعية فيما بينها حول مصالح الاقتصادية المختلفة، ومنه ستخرج الدولة بسيطرة احدى هذه الطبقات على قدرات المجتمع ككل، فالمجتمع المدني لدى ماركس هو اوسع واشمل من الدولة، فالدولة تصبح تابعة للطبقة المسيطرة اقتصاديا التي خرجت من عباءة المجتمع المدني، وعلى العكس من ذلك تصبح الدولة في مواجهة المجتمع المدني، لقد عاد المفهوم الى ساحة لتداول بعد فترة من الانقطاع حتى نهاية الحرب العالمية الاولى على يد المفكر الايطالي(انطونيو غرامشي) وذلك تأثرا بالتحولات الثورية الاجتماعية التي شهدته اوربا بعد قيام الثورة البلشفية في روسا عام **(1917)** وبعد ظهور الحركات الفاشية والنازية واستيلائها على مقاليد السلطة في ايطاليا والمانيا، فالمجتمع المدني في فكره هو ميدان للهيمنه الثقافية ووظيفة الهيمنة هي وظيفة توجيهية تمارس من خلال التنظيمات التي تدعى انها خاصة مثل الاحزاب والنقابات والمؤسسات التعليمية والدينية والثقافية المختلفة[2]، ونرى الصورة الواضحة للمجتمع المدني في مجتمعاتنا الحديثة بعد التحول الديمقراطي القائم على التعدد الحزبي والانتخابات الحرة خاصة بعد انهيار منظومة البلدان الاشتراكية حيث شهدت العقود الاخيرة من القرن العشرين ما اطلق عليه صحوة المجتمع المدني من انتقال كثير من المجتمعات ودول العالم نحو الديمقراطية وهذا ما اكده (جونكين) في كتابه حول الديمقراطية والمجمع المدني في عام 1998 حيث يؤكد على ضرورة ربط المجتمع المدني بالديمقراطية باعتبار الاول شرط اساسيا للثاني، وفي اطار هذه الموجة للتحول الديمقراطي اشيع استخدام مفهوم المجتمع المدني[3]، فتمثل منظمات المجتمع المدني شبكة للامان للاجتماعي لكل الفئات في المجتمع خاصة امتاثرة سلبا بتنفيذ واجراءات سياسات الاصلاح الاجتماعي للمجتمع من خلال صنع سياسات الرعاية الاجتامعية وصياغة اطرها او تنفيذها.

1. جون اهزنبرنغ، ترجمة علي حاتم صالح، المجتمع المدني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2009، ص36.
2. سيف الدين عبد الفتاح، المجتمع المدني وابعاده الفكرية، دار الفكر المعاصر، بيروت، 2003، ص95.
3. علي عبد الصادق، المجتمع المدني قراءة اولية، المحروسة للنشر والخدمات، القاهرة، 2004.

وهناك مؤشرات تؤيد تنامي تشكل المجتمع المدني وانخراطه في قضايا الضعفاء والمهمشين وهمومهم على المستوى العالمي، ونجاحه بعد ظهور اخفاقات دولة الرفاهية وانكشاف مساوئ الدولة الشمولية وتزايد الحركات الاجتماعية في السنوات الأخيرة، وقد تزايد الاهتمام بالمجتمع الدني ودعمه بدرجة كبيرة مع انعقاد مؤتمر الامم المتحدة للبيئة والتنمية في (ريوديمانيرو) عام(**1994**)، حيث اعتمدت اكثر من(**1400**) منظمة غير حكومية في المؤتمر التاسيسي[1]، وما يشهده المجتمع العراقي اليوم من دعوة صريحة لتفعيل المجتمع المدني وتنامي تكوين دور المنظمات غير الحكومية في اكثر من قطاع ومجال ليواكب عمليات التغيير الديمقراطي، لما يقوم به من دور في تنظيم مشاركة الناس وتفعيلها في تقرير مصائرهم ومواجهة السياسات اتي تؤثر في معيشتهم وتزيد من افقارهم، وما يقوم به من دور في نشر ثقافة خلق المبادرة الذاتية من ثقافة بناء المؤسسات وثقافة الاعلاء من شان المواطن وتأكيد ارادة المواطنين في الفعل التاريخي والإسهام في تحقيق التحول الديمقراطي المنشود، وبالإضافة الى ان المجتمع المدني يؤدي دوراً مؤثراً في مناهضة الفساد وإعلاء القيم وإبراز نماذج الشفافية وتعبئة المجتمع لمصالحة الإصلاح، وأخيرا اصبح ينظر اليه باعتباره القوة الثالثة(**Third force**) التي تسهم في تغيير خريطة القوى المحلية التي تتلائم مع حقوق الانسان العالمية وبالتالي تحقيق التنمية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية حقيقة تستند الى آمال الناس واحتياجاتهم.

وتعد مؤسسات المجتمع المدني كوجه من التي تعد من الوجوه الرعاية الاجتماعية حيث اشار تقرير التمية البشرية لعام(**1993**) والذي تصدره (**UNPD**) ان اهمية المنظمات الشعبية والمنظمات غير الحكومية بوصفها وسيلة قوية لتصحيح اخفاقات كل من السوق والحكومة ولانها اداة رئيسية للمشاركة الشعبية، وهذا ما برزت بدورها مؤسسات المجتمع المدني في العراق بعد عام 2003 بكل انواعها واشكالها من مؤسسات وجمعيات ونقابات ورابط وهيئات واحزاب دينية وسياسية او ثقافية، فهي وبكل جدارة اثبتت وجودها وكانت بماثبة صمام الامان للمجتمع بما تقدمه من خدمات مختلفة للمواطنين ولاسيما الفئات الفقيرة جدا ومنهم كبار السن، وفي ظل هذه الظروف التي مر بها المجتمع العراقي من الوضع الhمني المتأزم وصورة الدولة غير الواضحة برزت منظمات المجتمع المدني لتعمل على توفير المساعدات العينية والنقدية لتلك المختلفة لتدعم الرعاية الاجتماعية الحقيقة[2].

وتأسيسا على ما تقدم يمكننا إبداء عدد من الملاحظات حول مفهوم المجتمع المدني منها:

1. إنَّ ما يميز تكوينات المجتمع المدني عن جملة التكوينات الاجتماعية المفروضة او المتوارثة هو صفة الطوعية بمعنى ان محور المجتمع المدني يتاسس على فكرة الطوعية.
2. إنَّ مفهوم المجتمع المدني مفهوم يرتبط بمنظومة من المفهومات الاخرى، التي تتداخل وتشترك في كثير من الاسس الفكرية، ولا يمكن ان تتنامى فعاليته منعزلة عن سياقاتها، وتتضمن مفاهيم مثل حقوق الانسان، المشاركة السياسية، المواطنة، الفردية، .....الخ.
3. الاستقلالية: بمعنى ان يبتعد الدور او الغرض الذي تقوم به تلك التنظيمات الاجتماعية عن هيمنة الدولة وسلطتها، بل تعمل في اطار مناخ مهيا يوفر لها مرجعية قانونية مقبولة من المجتمع المدني والدولة معا.
4. ترتبط مكونات المجتمع المدني ضمن اطارها العام بقواسم مشتركة، تلك التي تتضمن الجماعات المهنية، الاتحادات العمالية، النوادي الثقافية، الحركات الاجتماعية، المنظمات الدينية، المنظمات القاعدية الشعبية وأخيرا المنظمات غير الحكومية الاهلية.
5. إنَّ الثقافة المدنية هي السياق المبدع لتطوير اليات المجتمع المدني، فوجود نسق قيمي يستند الى قبول الاخر وتتأصل فيه سمة التسامح والتراضي هو منطلق لتشكيل مؤسسات المجتمع المدني الناجحة وتطويرها.

ثانياً/ لمحة تاريخية عن الرعاية الاجتماعية

نجد أنَّ تطور الرعاية الاجتماعية في العصور القديمة بشكل واضح في كل مكان نشأت فيه حضارة من الحضارات او ديانة من الديانات، وحريا بنا بدأً ان نتطرق الى **حضارة وادي الرافدين في العراق** التي اهتمت بالانسان وحرصت على العناية

1. برهان غيون: المجتمع المدني من المفهوم المجرد الى المنظومة الاجتماعية الدولية فعاليات ندوة المجتمع المدني واشكالية التحول الديمقراطي، مركز الوثائق والدراسات الانسانية، جامعة قطر، 2001، ص12.
2. كريم محمد حمزة: شبكة الحماية الاجتماعية في العراق مزايا ومعوقات، مجلة دراسات اقتصادية، العدد 19، 2007، ص104.

بدراسته وتيسير الحياة له وتوفير ما ييسر طمأنينته وازدهاره، وظهر هذا الاهتمام واضحا في حرصهم على حق الفرد في حرية الكلام والعمل والعقيدة، ومن هنا دونت عندهم اقدم الشرائع ومجموعات القوانين التي تنظم المجتمع ومعاملات الأفراد، واصدق مثال لذلك قانون حمورابي الذي يظم 282 مادة حيث خصص جزءا كبيراً منه في تنظيم العلاقات الاجتماعية بين الافراد والمجتمع التي تضفي الى نشر العدل والحق في البلاد واهتم بصورة واضحة بايواء الرقيق، كما نصت المادة 29 من القانون اعلاه على اعطاء والدة الابن القاصر ثلث الحقل والبستان لكي يتسنى لها القيام بتربيته. ومثله قانون اجتونا الذي يحتوي على 60 مادة تتعلق بالاحوال الشخصية والزواج واهتم برعاية الافراد بالتبني، وكذلك قانون اوروانين حيث اهتم بصياغة بعض القواعد القانونية ذات المفعول الدائم منعا لاستغلال الضعيف، وإطلاق الحريات للمواطنين الذي وقعوا تحت طائلة الديون والضرائب المتراكمة، ثم قام لبت عشتار بعد قانون اورنمو(2113 – 2095) ق.م من حيث الفترة الزمنية وهو مدون باللغة السومرية ويرقى اصداره الى القرن العشرين قبل الميلاد، ويتضمن بنشر العدل والمساواة وجلب الرفاهية لأبناء سومر، فمثلا جعل الاولاد يساعدون والدهم مثلما الوالد يساعدهم[1]، ومن الحضارات العريقة الاخرى **حضارة مصر الفرعونية** حيث عاشت مصر الفرعونية معظم فترات تاريخها يحكمها فرعون ينظر اليه على ان أله سليل آلهة امتد سلطانه وجبروته ليشمل البلاد طولها وعرضها وكانت الثورة ضده تعني المروق عن الدين وآلالة المعبودة وكانت الديانات المصرية القديمة على اختلاف انواعها تؤكد مثل هذا الزعم، حيث قوة سلطان الدين ومن يقومون على الدعوة له كان ذو اثر على شعب مصر الفرعوني الذي كان غالبيته يعمل بالزراعة، حيث نال الكهنة احترام وتقدير المجتمع لهم باعتبارهم رجال الدين وهذا انعكس تاثيره على حضارة المصرين في ذلك الحين، بل لقد تأثرت حضارتهم بهذا النوع من التفكير الذي يوجد في المعابد والاهرامات وغير ذلك من مظاهر الحياة المادية والتي تعبر بالوقت نفسه عن الكثير من النواحي الروحية، بمعنى اخر ان البيئة الطبيعية في مصر القديمة لعبت دورا خاصا في تشكيل ملامح الرعاية الاجتماعية، حيث نجد ان هناك بعض الوان الرعاية من بعض طبقة الحكام ورجال الدين كما بينت كثير من الاثار التي وجدت في لوحات فنية لهم مثل رمسيس الثاني في حرصه على توفير الطعام لعماله وإقامتهم في مكان صحي نظيف وتبريد مياه الشرب لهم وتوفير الاحذية والملابس الى غير ذلك من وسائل الراحة والطمأنينة ووصف ذلك بقول (لقد عملت كل هذا من اجلكم حتى تشعروا بالراحة والطمأنينة وانتم تعملون من اجلي بقلب واحد)، وكان نصيب رعاية المسنين عند الفراعنة واضحا حيث انش ملاجئ للشيوخ والعجزة، كما ان موظفي البلاط الذين يبلغون سن الشيخوخة وأصبحوا غير قادرين العمل يلحقون اعمال تتناسب مع سنهم او عجزهم او ينفق عليهم حتى وفاتهم، وكان الموظف الكبير المحال على التقاعد يعين مديرا لأملاك فرعون أو مديرا لأملاك إحدى سيدات البيت الملكي وبذلك يصبح في يده وظيفة تشعره بالثقة، أما المسنين العادين فقد كانوا يعيشون في رعاية اسرهم نتيجة تماسك الاسرة المصرية القديمة في ذلك الحين[2].

أما عند الاغريق كانت الرعاية الاجتماعية والمتمثلة بالمدن اليونانية القديمة، رغم الظروف الصعبة التي كان يعيشها المجتمع اليوناني القديم بسبب طبيعته الجبلية التي ادت الى قلة الانتاج وهجرة الكثير الى خارج البلد واتخاذ الحرب وسيلة لكسب الرزق وممارسة القرصنة ونشوء طبقة يملكون الاراضي النبلاء وإدارة اعمال الدولة وطبقة الفلاحين والعمال وما لهذا التقسيم من حالة سيئة غير عادلة، الا انه قد ظهرت بعض اوجه العدالة الاجتماعية التي كانت تنصب على مساعدة المحرومين وأفراد المجتمع في حالة الطوارئ والكوارث عندما كانوا يصيبون بالمجاعات والسيول.

بينما كانت **الدولة الرومانية** توزع المساعدات على الفقراء والمعوزين ومساعدة الاسر المنكوبة الذين يذهب افرادها ضحية الحروب او الذين شوهتم المعارك وأصبحوا عاجزين عن العمل، كما كانت المساعدات تقدم للرقيق والأسرى، وكان الدافع الاول للمساعدة المحدودة هو حماية الدولة، حيث كان الدافع السياسي محض لا دخل لنزعة البر او الخير فيه، وعلى الرغم من النزاع المستمر والطبقة العامة في المجتمع الروماني حيث كان الاول هم الكفة الراجحة في مصائر الامور حيث يمتلكون الاراضي الخصبة والخبرة والمهارة الحربية والإدارة على غرار الثاني (العامة) حيث يسعون وراء الرزق والقوت ،الا انه ظهرت بعض

1. نخبة من المؤلفين: المدينة والحياة المدنية، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، 1988، ص185.
2. احمد مصطفى ناصر: الخدمة الاجتماعية نظرة تاريخية، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 1984، ص34.

الاتجاهات الانسانية في هذه العصور السحيقة، فقد كان الاثرياء وبعض النبلاء بدافع الرحمة والعطف على الفقراء الجائعين يوزعون القمح على الجماعات المتضررة جوعا اثناء اشتداد القحط ويوزعونه دون مقابل واحيانا يبيعونه بأسعار زهيدة، وكانوا ينظرون الى هؤلاء نظرة عطف وحنان واشفاق[1]. ولقد فطن العرب الى اهمية دراسة كبار السن فكتب ابو حاتم السجستاني رسالته عن المعمرين سنة 864 م[2].

أمَّا تطور الرعاية الاجتماعية **في العصور الوسطى** ففي انكلترا بعد ان تعرضت عام 1348 الى الطاعون الاسود وتسبب بوفاة مليوني ونصف من ابنائها من بينهم الكثير من العمال الذين كانوا يعانون من البحث عن لقمة العيش والاستقرار، مما ادى الى قرارات مفيدة من جانب الملك ادوارد الثالث بتقديم المساعدات للعمال غير القادرين جسمانيا وإجبارهم على المعيشة في اماكن خصصت لهم، وتراكمت المشاكل الى اصدار قانون عام **1531** للتخفيف من هذه الضغوط الاقتصادية التي تعيشها البلاد والتخفيف من حدة الفقر والبحث عن الفقراء وخاصة كبار السن الذين اضطروا الى ان يعيشوا على الاحسان والتسول في مناطق معينة، وفي عام **1572** ظهر قانون للضرائب وبمقتضاه تجمع الاموال من القادرين لمساعدة الفقراء.

وقد تطورت الرعاية الاجتماعية في المجتمع الاوربي حيث كان على وجه الخصوص في انكلترا ان تعاليم المسيحية كانت تحرص على رعاية الفقراء ولذلك قامت الكنائس برعاية الفقراء وكذلك الميرة التي كانت تقدم للفقراء المحيطين بها الطعام والملابس والمأوى والعلاج، ومن ابرز التشريعات في تلك المرحلة هو قانون الفقراء او القانون الالزابيثي للفقراء الذي صدر عام (1601)، حيث يعتبر هذا القانون بمثابة بداية مرحلة جديدة للرعاية الاجتماعية في انكلترا، حيث اقر مسؤولية المجتمع المحلي في رعاية الفقراء، كذلك الزم هذا القانون وأكد على مسؤولية الاسرة او مسؤولية الاقارب نحو رعاية الشخص المحتاج[3]، وتطور الاهتمام من الاعمال المناسبة للكبار الى دراسة العوامل المؤدية لاطالة العمر مثل الدراسة التي قام بها (تينون) عام (1813)، وتطورت هذه الرعاية عام 1869 حيث أنشأت جمعية تنسيقية بهذا الشأن سميت بتنظيم الاحسان في مدينة لندن حيث قادتها مجموعة من قادة الاصلاح الاجتماعي في انكلترا في نهاية القرن التاسع عشر وعلى راسها(ادوارد ادينسون) حيث اتجهت نحو الثورة على المنهج التقليدي في معالجة الفقر والبؤس والحرمان السائد، وفي بداية القرن العشرين تطورت باتجاه معاصر مؤداه ان الخدمات المختلفة التي توجه للأفراد لا يجب ان نقدمها لها على اساس انها نوع من الإحسان، ولكن على اساس انها مساعدة مالية تقدم للمواطنين شانها في ذلك شان كافة الخدمات الاخرى.

ونجد في **المانيا** بين عام**(1890 و1892)** قد اقامت نموذجا لدور الدولة في تحقيق عوامل الامن والضمان الاجتماعي للمسنين، وهكذا نجد في **الدنمارك وبلجيكا وهولندا** قد حذوا حذوه كل من **نيوزلندا واستراليا** في وضع وتحديد مستويات للتعليم بحيث يصبح ملزم. وفي عام **(1908)** بدا اهتمام الدولة بتوفير الدعم المادي لرعاية المسنين، وفي عام **(1920** الى **1930)** بدا الاهتمام بتوفير الرعاية البديلة للاطفال المعوقين الي اضطرتهم اظروف للنبذ والحرمان وبدات المدارس الخاصة بهم بمساعدتهم ونشر مكاتب الصحة المدرسية التي تقوم بصرف الالبان والوجبت الغذائية لهم، بل واضافة الدولة بعض المسؤوليات الى اجهزة المجتمعات المحلية من بينها رعاية المكفوفين والمرضى بامراض مزمنة وذلك عن طريق تخصيص ميزانية لهم للقيام والمساهمة في هذه المسؤوليات.

وهكذا في **الولايات المتحدة الامريكية** جاءت نظم الرعاية الاجتماعية متاثرة في روحها وفي كثير من تفصيلها ومضمونها بالنظم اتي سادت في انكلترا، حيث زاد الاهتمام بالخمسينيات بتدريس مادة الرعاية الاجتماعية كسياسة في اوقات الازمات والحروب والفترات الانتقالية في المجتمع كتحول المجتمع من زراعي الى صناعي والهجرة من الريف الى المدينة وذيوع التحضر وكذلك في اوقات ارتفاع الاسعار وانتشار الامراض وغيرها، وهنا نجد الحكومة تتدخل لتضمن كسب تاييد الراي العام وذلك بالعمل على مقابل احتياجات الناس طبقا لاوليات ظهورها[4].

1، احمد مصطفى ناصر: الخدمة الاجتماعية نظرة تاريخية، مصدر سابق، ص34.
2، احمد محمد اضبيعة: مجالات الرعاية الاجتماعية، دار الكتب الوطنية، ليبيا، 2007، ص101.
3.احمد مصطفى ناصر، الخدمة الاجتماعية - نظرة تاريخية، مصدر سابق، ص75.
4. رشا احمد عبد اللطيف، طريقة تنظيم المجتمع في الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 1999، ص148.

أمَّا الرعاية الاجتماعية في العراق الحديث فتمثلت في اعمال الاباء الكرمليون بتاسيس خدمات لرعاية الايتام في بغداد والبصرة منذ القرنين السابع عشر والثامن عشر، ثم اسسوا ميتم خاص بهم (ميتم الابى، الكرمليين الحديث) ولقد شهدت اواخر الثلاثينات وحتى الخميسنات تطورات مهمة تمثلة في انشاء وزارة العمل والشؤون الاجتماعية عام(**1939**)، ثم تاسيس مديرية عامة للخدمات الاجتماعية عام(**1952**)، اضافة لنجاح العراق في هذه الفترة بالحصول على نصف عائدات النفط من شركات النفط الاجنبية مما وفر له دخلا كثيرا مكنه من الانفاق على المشاريع وبرامج الرعاية الاجتماعية، ثم جائت بعدها فترة قيام ثورة **14** تموز(**1958**) التي اقامت نظاما جمهوريا على انقاض الحكم الملكي حيث تميزت بتعدد الجهات الرسمية المسؤولة عن العمل الاجتماعي، ورافقته بتخرج طلبة قسم الاجتماع والخدمة الاجتماع من الكليات العراقية ككلية الاداب والملكة عالية للبنات، مما وفر قاعدة مهمة للعمل البحثي المنظم في تلك المؤسسات، ثم ظهر بعد ذلك معهد لتاهيل المعوقين مهنيا في بغداد وتشكيل مجلس لتهايل المهنين عام(**1976**)، ثم توالت القوانين بصورة مستمرة وحسب مستزمات العراية حاجاتها حتى صدور احد القوانين المهمة والمميزة في مسيرة العمل الاجتماعي في العراق وهو قانون العرعاية الاجتماعية المرقم (**126** لسنة **1980**)، الذي كان بمثابة مظلة امان اجتماعي واسعة للعديد من افئات والشرائح الاشد حاجة ولمواجهة الاعباء الاجتماعية للحرب العراقية الايرانية انذاك، حيث ياحظ زيادة اعداد المعوقين في هذه الحقبة، واهتم هذا القانون بالارامل والمطلقات ذات القاصرين والايتام وكار السن من ليس له معيل او تقاعد، ثم جاء بعد ذلك فترة الحصار الذي وقع بالدرجة الاولى على المراة التي اظهرت لقضاء ساعات طويلة تعمل خلالها خارج المنزل مما اثر علاقاتها بابنائها تاثيرا بالغا والتي استوجبت مضاعفة نشاط الرعاية في العراق، اما توجه الرعاية الاجتماعية في مجال رعاية الاحداث فنرى صدور قانون الاحداث رقم **64** لسنة(**1972**) الي استجاب لبعض التوجهات الحديثة في علم الاجتماع الجنائي وعلم الإجرام، فعلى سبيل المثال استبل هذا القانون كلمتي تجريم ومجرم بكلمتي ادانة وجانح، كما انه اكد على توفير سبل الحماية ووسائل الاصلاح للاحداث الجانحين بدلا من العقوبات المجردة[1]، وامتثالا لهذه الرؤية شرع قانون رعاية الاحداث رقم(**76** لسنة **1983**) الذي ما زال نافذا فترسخت بذلك مبادئ الرعاية الاجتماعية في المجتمع العراقي، وخلال فترة سقوط النظام في(**2003/4/9**) وفي ظل الظروف الاستثنائية من انفلات امني المتمثل بالانفجارات والقتل والحروب، ساهمت بدرجة كبيرة في تعاظم اعداد النساء المعيلات لأسرهن والأيتام والأرامل والمعوقين وتدهور رعاية كبار المسنين بسبب زيادة رقعة الفقر والبطالة، كان لابد من استهداف اليات جديدة او تفعيل اليات موجودة سابقا للرعاية الاجتماعية لكي تستوعب تلك الفئات المهمشة والضعيفة، فجاء برنامج شبكة الحماية الاجتمعية ذي الرقم 8 لعام 2006 بشكل يتلائم مع متطلبات المرحلة الجديدة، وهو عبارة عن توسيع لقعدة الرعاية الاجتماعية من خلال زيادة الوراتب بشكل يتلائم مع مقتضيات الواقع الجديد المتثمل بالتحول نحو اقتصاد السوق والانفتاح على العالم الخارجي، حيث خصصت الحكومة العراقية عام(2006) لمشروع شبكة الحماية الاجتماعية ميزانية مستقلة تقدر ب500 مليار دينار عراقي لتغطية مليون عائلة تضمنت ايعانات نقدية تتراوح بين 50 – 120 الف دينار شهريا حسب اعداد افراد الاسرة وتخصص 5الاف دينار عراقي شهرياً لكل طفل مستمر بالدراسة لتجنب عمل ظاهرة الاطفال او الانزلاق في التشرد والانحراف[2].

وجاء قانون الحماية الاجتماعية الذي أقره مجلس النواب العراقي عام 2014 ويحمل الرقم (11) ليكفل بعض حقوق كبار السن. وحقيقة الأمر يتطلب المزيد من اوجه الرعاية الاجتماعية في الوقت الحاضر نتيجة لتراكم سياسات النظام المباد ونتائجه السلبية من تدمير البنى التحتية والتي ادت الى اتساع مساحة الفقر والبطالة وزيادة مشكلات التهجير القسري واستشراء الفساد الاداري والمالي وغيرها من الازمات المستمرة كل يوم والظروف الاستثنائية لحرب داعش، حيث بلغ عدد المسنين في العراق المشمولين بالرعاية الاجتماعية مليون ومائة الف مسن أما في بغداد وحدها الفان وخمسمائة فردا قد تجاوزوا سن الستين عاما*.

ثالثاً/ الاسلام والرعاية الاجتماعية:

1. قانون اصلاح النظام القانوني رقم 135 لسنة 1977، ص73.
2. كريم محمد حمزة وعدنان ياسين، اهداف الامن الانساني التي تحققها بكة الحماية الاجتماعية للأطفال في العراق، دراسة مقدمة الى المؤتمر العلمي الثالث للدفاع عن حقوق الطفل، بغداد، 2007، ص20.

* هذه المعلومة حصل عيها الباحثان من خلال اتصالهما بمدير عام الرعاية الاجتماعية في وزارة العمل والشؤون الاجتماعية بتاريخ 2018/2/13.

الاسلام دين الانسانية جمعاء، فهو دين غير محصور في مرحلة تاريخية معينة او مجتمع معين او بيئة معينة، وبهذا قامت دعوة الاسلام للإنسانية كلها بحقوق واحدة وهداية واحدة وايمان بالله واحد لا اله الا هو، ولا رب لكل البشر سواه، يتساوى الناس جميعا بين يديه ولا يتمايزون الا بمقدار ما يقدمون للإنسان من خير وسلام حتى يعم الفضل والصلاح والعدل والمساواة، فالانسان في الاسلام مخلوق مكلف ومسؤول، يمارس الحق والهدى ويمارس العدل ويأخذ منه حقه، وهذا ما اشارت اليه كثير من الآيات القرآنية التي تؤكد على كرامة الانسان حيث قال تعالى ((۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا))[1] وقوله ((لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ))[2] والكثير من الآيات، كما جعل الله سبحانه وتعالى في اموال المسلمين نصيبا معينا وقدرا محددا لذوي الحاجة تصرف في وجوه الانفاق للخير العام ولا تصرف في غيرها مهما كانت الضرورة، وايجابية انسان الاسلام تمنعه من الانطلاق الفردي الطائش، واللجوء الى المواقف الجامدة أو الهزيلة التي فيها نكوص وتهرب من تحمل عبئ الدور الموكل إليه، فنجد انسان الاسلام فرد في مجموع كبير هو الحياة كلها ولا ايمان له بما يقدم لخير هذا المجموع.

فالدين الاسلامي بصفة خاصة يعتبر الدعامة الاولى في تنظيم المجتمع على اسس قويمة تناسب الحياة الاجتماعية في كل مكان وزمان وتدفع عجلة التقدم والازدهار لأنها تقوم على مبادئ سامية يعجز البشر عن ابتداع مثلها، وما كان نصيبا واضحا للرعاية الاجتماعية بمفهومها الحديث في مبادئ الدين الاسلامي ما يدعم مناهجها وتحقيق اهداها في جميع انحاء العالم، ولقد سبقت تعاليم الدين الاسلامي الحديث الانظمة الحديثة لرعاية كبار السن (الشيخوخة) اذ أعطى هذه الشريحة مزيدا من التقدير والاحترام والرعاية ويدرك هذا من خلال المقارنة وسط الاسرة الاسلامية مع غيرها من الاوساط الغربية والشرقية غير المسلمة، ولكن ظهور المتغيرات الاجتماعية التي تشهدها المجتمعات المعاصرة اوجدت بعض المضار السلبية في حياة الاسرة المسلمة وفي بيئة المجتمع بشكل عام، مما ادى الى وجود بعض مظاهر السلبية كالمبالاة والإهمال لبعض المسنين بل والزج بهم في مأوى العجزة تهربا من خدمتهم. واعتنى القرآن الكريم بتقوية الروابط الأسرية من اجل سعادة المجتمع ورفاهيته وتحسين العلاقات بين الأفراد مما يؤدي إلى تماسكهم وتلاحمهم. ويبدو هذا الاهتمام في صورتين أساسيتين:

1. حث الأبناء على الإحسان إلى الوالدين وطاعتهم ما عدا حالة الشرك بالله مع الإنفاق عليهم في حالة الحاجة وعدم الإساءة إليهما بأي شكل من الأشكال، ويبدو هذا التوجيه واضحاً، إذ قرن الله عبادته بطاعة الوالدين.
2. الحث على صلة الرحم والإحسان إلى الأقرباء والنهي عن قطع الأرحام ومساعدة الأقارب من دون تعصب.

فالرعاية الاجتماعية في الاسلام تقوم على اساس تلقائي منظم معين، وهي تعتمد على مبدأ التكامل الاجتماعي فهو يقرر ان المحتاج الى الرعاية تقع مسؤولية رعايته على المجتمع وله الحق المطالبة بها والتقاضي بشأنها، لذا جعل كفالة المحتاج على افراد اسرته مسؤولية مقررة سواء اكان طفلا أو ارملة أو مطلقة أو عاجز عن الكسب أو مسنا، فإذا عجزت الاسرة عن هذه الكفالة انتقلت المسؤولية للدولة التي تتكفل برعاية المحتاج، والتكافل الاجتماعي في الاسلام ينطوي على محورين واضحين اولهما القائم على التراحم وهو غالبا ما اتصل برعاية الاسرة لذوي قرباها وثانيهما التكافل المادي وقد اهتم به عن طريق تحديد مسؤولية المجتمع نحو المعوزين والمحتاجين للرعاية فأوجب لهم حقا معلوما وموردا ثابتا، بشمول المسنين منهم وبالخصوص الفقراء والمصابين الذي تحول دون قيامهم بكسب قوتهم، ومصداقا لذلك في قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ))[3] وقوله: ((وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ، لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ))[4]، وبهذا نرى أنَّ الاسلام قد حدد ماهية الرعاية والنظم الاجتماعية وكفيتها وأسسها وطريقة ادائها ومكافئة القائمين عليها، وأوضح مسؤولية الفرد الادبية والشرعية نحو اسرته خصوصا كبار السن مع توكيده للأسرة كوحدة اجتماعية اساسية في تكوين المجتمع.

المبحث الثالث: النظريات الاجتماعية المفسرة للمسنين Explanatory social theories of the elderly

2. القران الكريم: سورة الاسراء، الاية 70.
2 . القران الكريم: سورة التين، الاية 4.
[3]) القران الكريم: سورة النساء، الاية 1.
[4]) القران الكريم: سورة المعارج، الاية 24و25.

تؤطئة

تشكل النظرية الاجتماعية جانبا مهما ورئيسا في فهم وتفسير الظاهرة المدروسة إلى جانب بناء وتراكم المعرفة وبالتالي فالنظرية تمدنا بنظرة شاملة ومنطقية للظواهر الاجتماعية والأحداث، دون النظرية الاجتماعية تكون النظرة لهذه الظواهر غامضة جزئيا، هذا من ناحية ومن أخرى تبرز اهمية النظرية الاجتماعية في كونها دليلا ومرشدا للبحث في تقصي الظواهر الاجتماعية، اضافة الى ذلك تساعدنا في التنبؤ بما سوف تكون عليه الظاهرة الاجتماعية مستقبلا، كما انها تميط اللثام عن اسئلة في غاية الاهمية تدفع الباحث الى مزيد من التقصي والبحث للإجابة على تلك التساؤلات، ومن حيث ارتباط هذه النظريات في مجال المسنين فإنها تعددت من حيث التفسير للشيخوخة ومن حيث اهدافها وأغراضها، ولكن في بحثنا هذا نهتم ما يخص اختصاصنا وهو الجوانب الاجتماعية للمسنين ونستعرض في ما يلي لأهم هذه النظريات الاجتماعية:

أولا: نظرية النشاط Activity Theory: ظهرت هذه النظرية عام(1963)، ورائدها الاول (روبرت هارفست) (R– Havighurst)، وهي من اقدم النظريات في مجال علم اجتماع الشخوخة، وتشير الى ان التوافق النفسي للمسنين ومدى تكيفهم مع المجتمع يرتبط بمدى نشاطهم ومقاومة تقلص الارتباطات الاجتماعية والبحث عن بدائل لادوار والنشاطات، وجميع ما يمكن ان يفقده الفرد من جرء التقاعد او الاهل والأصدقاء، وبكلام اخر انها تؤكد على اهمية مواصلة كبار السن في المشاركة في الانشطة الاجتماعية وايجاد بدائل لأدواره المفقودة من خلال تكوين صداقات جديد ومفيدة تواجه مشكلة الفراغ لديهم او اشتراكهم في الاندية والجمعيات والمؤسسات الاهلية والحكومية، وهذا ما اكد عليه كل من العالمين (فريدمان) **(Firedamn)** و(ملر) **(Miller)** الذي اكد على ان الانشطة البديلة تحقق هدفين هما تعويض اعمل المفتقد – ومصدر جديد للدخل، وأكدت كذلك بعض الدراسات ان كبار السن المنخرطين في النشاطات المختلفة يتمتعون بصحة عقلي وجسمية اكثر من غير النشطين[1].

ثانياً/ النظرية التبادلية Reciprocity Theory: من النظريات الاجتماعية المهمة التي وظفت في مجال المسنين، ومن روادها سوسمان، وقد وضح افكاره في هذا المجال في كتابه (الحياة الاسرية لكبار السن **The Family of all people**) وهذه النظرية تعتمد على فكرة الاخذ والعطاء، اي ان المسنين يحاولون اقامة العلاقات المجزية التي تحقق مصالحهم وقطع العلاقات التي تسبب الجهد وصرف الأموال بمعنى اخر انها تركز على امنفعة المتبادلة وتهمل الجوانب الانسانية البديلة، الحب والوفاء للكبار الجلوس مع الأقارب، وعلى هذا تهتم هذه النظرية بدراسة جميع علاقات المسن بالعمل والأسرة والمجتمع، وتفرض ان اي فرد يكون كبؤرة لمجموعة من العلاقات الاجتماعية وعندما يكبر سنة ويتجه نحو الشيخوخة تتقلص علاقاته الاجتماعية ومشاركته ككائن عضوي، وترى هذه النظرية ان رفض المجمع لكبار السن له اثار سلبية عليهم ويؤدي الى انفصال المسنين عن ممارسة ادوارهم الاجتماعية السابقة، وأبرزت احدى الدراسات الاجنبية على ضرورة الاستفادة من كبار السن حيث انه من المصلحة في اطار النظرية التبادلية الاستفادة من خبرات المسنين في مقابل توفر وسائل الرعاية الاجتماعية لهم (مسكن – علاج – ماكل – رعاية ارسرية – برامج ترويحية وتاهيلية....الخ)[2].

ثالثاً/ نظرية الاشباع البديل Alterantive saturation theory: يهتم المجتمع المتحضر والمجتمعات السائرة في هذا المجال بإيجاد الانشطة والبرامج والمشروعات المناسبة التي تتم في اطار الموقع السكني المتواجدين فيه وتقديم هذه الانشطة بدون مقابل لرعاية كبار السن والمحافظة عليهم واستثمار الخبرات المتوفرة لديهم بما يفيد وينفع المجتمع، وبالتالي توفير البديل الايجابي للمسنين والذي يحفظ لهم كرامتهم وادميتهم وتحقيق تقدير المجتمع لهم، وترتبط هذه النظرية بالسياسات الاجتماعية التي يضعها المجتمع للعناية بهذه الفئة، مثل ضمان دخل مناسب للمسن واتاحة الفرصة لهم حتى يسهموا في تنمية مجتمعهم ورفع مستوى المعيشة داخل المنظمات الاجتماعية التي تهتم بالمسنين، وقيام منظمات المجتمع المدني بمواجهة الاحتياجات المتغيرة للمسنين وباسلوب يحفظ لهم كرامتهم، ولكي يتم الاستفادة من هذه الظرية فهذا يتطلب بعدا وطني وقومي ودولي لهذا

1. ابراهيم محمد العبيدي، علم الشيخوخة الاجتماعي، دار الزهراء للنشر والتوزيع، الرياض، 2003، ص60.
1. ابراهيم محمد العبيدي، مصدر سابق، ص63.

الفئة التي تتزايد يوما بعد يوم فقد كانت نسبتها عام 1990 – **6,1 %**، عام **2000 – 7,3% ثم** عام **2005- 8,2% ثم عام 2010 – 9,4%** حتى تصل عام **2025 – 11,3%** [1].

رابعا: نظرية تراكم الخبرات الحياتية والمهنية

Theory of accumulation of life and professional experiences:

تقوم هذه النظرية على افتراض ان الشيخوخة الناجحة هي التي تتصف بالقدرة على الانجاز والمحافظة على الادوار وإقامة العلاقات الاجتماعية الناجحة في مراحل التقاعد وذلك من خلال اعطاء وقت كبير للأنشطة والبرامج التي كانوا يزاولونها قبل التقاعد عوضا عن البحث عن ادوار جديدة، حيث تعتقد هذه النظرية ان المسنين لديهم مجموعة من الخبرات يمكن الاستفادة منها مثل الخبرة في العمل وفي امور الحياة والتأثير على متخذي القرارات والتعامل مع المواقف المعقدة وتاكيد قيمة الحب والعطاء، واهمية ادراك هذه الخبرات المتاحة لدى المسنين سواء كانت خبرات حرفية او مهنية، وبالتالي يمكن بلورة نموذج جديد يسهم في مواجهة مشكلاتهم وذلك من خلال تاريخ افرد المسن خلال مراحل نموه المتعاقبة.

المبحث الرابع: الخدمات وبرامج المجتمع المدني للرعاية الاجتماعية وخصائصها

Services & civil society programs for welfare & its characteristics

تؤطئة

حين أصدر عالم الاجتماع البريطاني المعاصر (بيتر تاونسد) **(Peter Tounsend)** كتابه الممتع عن الحياة العائلية لدى كبار السن**(The family life of all people)** اعتبر ذلك ايذانا بمبدأ الاهتمام بميدان جديد من ميادين البحث الاجتماعي كان مهملا الى حد كبير من ذلك الوقت، فاخذ اهتمام بالسوسيولوجيا والأنثروبولوجيا يزداد بدراسة الشيخوخة كظاهرة اجتماعية، من حيث النظر اليها على انها اكثر من مجرد تغيرات بيولوجية وفسيولوجية تطرأ على الجسم البشري نتيجة للتقدم في السن، هذا من جهة ومن جهة أخرى تتمثل في موقف المجتمع من الفرد فيفرض عليه قيودا وحدودا وقواعد سلوكية من واجب الالتزام بها، بمعنى آخر ان مرحلة الشيخوخة إحدى المداخل التي يمر بها الفرد خلال دورة الحياة إذ تتخللها مظاهر سلوكية وقيم اجتماعية معينة ودورا اجتماعي لا يمكن تطبيقها كما لو كان الفرد شابا يافعا فكبار السن في هذه المرحلة بحكم واقعهم وضعفهم وتدهور قواهم العضلية والذهنية لا يستطيعون أن يقوموا بأنفسهم بأداء ما يحتاجونه دون مساعدة الآخرين وإبداء رعايتهم وعنايتهم لهم، لاسيما ما وصلت اليه الحياة الحديثة الى درجة من التطور والتعقيد يعجز معها المسنين من أن يواجهوها وحدهم وبدون عون الدولة أو المنظمات الأهلية الغير حكومية **(Nongovernmental organizations)** (المنظمات غير الحكومية) من تقديم الضمانات المادية والاجتماعية التي تسمح لهم بان يمضوا الفترة الباقية من حياته دون ان يشغلوا انفسهم بامور العيش او الخوف من المرض، فان ما يحتاج اليه الفرد حين يتقدم به السن ويصل الى الشيخوخة هو مختلف الخدمات الاجتماعية والصحية والترفيهية دون ان يُحمل هو نفسهُ ما لا يطيق من اجل البحث عنها او من اجل ان يثبت لنفسه وللآخرين انه لا يزال قادر على المشاركة في حياة المجتمع والقيام بدور ايجابي يعود بالخير على الاخرين. لذلك سنتناول في هذا المبحث:

أولاً/ الخصائص العامة للرعاية الاجتماعية وأنواعها

ثانياً/ الخدمات والبرامج المقدمة للرعاية الاجتماعية

أولاً/ الخصائص العامة للرعاية الاجتماعية وأنواعها:

إنَّ الدولة العصرية الحديثة تظم خدمات لا حصر لها من اجل الوصول بالأفراد الى حالة من الرفاهية الاجتماعية، وان عملية تنظيم الخدمات الاجتماعية لتحقيق الرفاهية الاجتماعية تختلف من مجتمع لمجتمع ومن زمن الى زمن في نفس المجتمع، فان هذا البرنامج الكامل من الخدمات الاجتماعية يشتمل على ميادين وأنواع منها[2]:

1. محمد سيد فهمي، الرعاية الاجتماعية والنفسية للمسنين، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، ص54.
2. أحمد كمال احمد، مقدمة الرعاية الاجتماعية، مكتبة النهظة، القاهرة، 1976، ص423.

1. خدمات مباشرة تؤدي للأفراد والجماعات والمجتمعات المحلية، وهدفها الاساس هو المساعدة على التغلب على الصعاب التي تواجههم في الوصول الى الاستفادة من الموارد الاجتماعية القائمة، ويدخل تحت هذا القطاع من الخدمات جهود الرعاية والخدمة بمناهجها الثلاث.
2. خدمات غير مباشرة تستهدف تعديلات في الموارد من ناحية والافراد من ناحية اخرى بهدف الانتفاع الكامل الصحيح من هذه الموارد الى أقصاها، ويدخل تحت هذه الخدمات الجودة الصحية والتعليمية والإسكانية وإنشاء الطرق والتشريع والتخطيط الاجتماعي وتخطيط المدن، وما الى ذلك من تلك الجهود التي تستثير طاقات المجتمع البشرية والمادية الى اقصى حد ممكن، والتي قد تعدل من النظم الاجتماعية القائمة فعلا او ما يسمى بالإصلاح الاجتماعي والتنمية الاجتماعية.
3. خدمات نوعية مرتبطة بتحقيق مطالب طوائف معينة تحتاج الى جهود نوعية خاصة تمكنها من النمو والتكيف الاجتماعي السليم، ومن ثم امكان الافادة من الموارد الاجتماعية القائمة، ومن ابرز الامثلة على هذه الطوائف هم المسنين وكذلك اصحاب العاهات والعجزة إذ ان هؤلاء يمثلون فئات خاصة ومحددات معينة بظروف خاصة ايضا وتتسم بالعجز والحاجة والمعونة والقصور العام او النسبي .

والرعاية الاجتماعية طبقا لهذا المفهوم لابد وان تمارس في نطاق مؤسسات اجتماعية خاصة كلون من الوان الرعاية او تبعا للغرض الاساسي منها، ومما تقدم يمكن لنا أنْ نستعرض **الخصائص العامة للرعاية الاجتماعية** فيما يلي[1]:

1. الرعاية الاجتماعية هي ظاهرة اجتماعية من خلق الوجود الاجتماعي ذاته، تنشا حتما في امجتمع انساني ومن التفاعل الحتمي بين افراده ولهذا تشكل ضرورة اجتماعية.
2. الرعاية الاجتماعية هي جهود مادية وبشرية تهدف اساسا الى معالجة الهزات الاجتماعية وإزالة العقبات التي تعترض نمو الافراد والجماعات تحول دون تكيفهم مع بيئاتهم الاجتماعية.
3. تتسم جهود الرعاية الاجتماعية بالتخطيط والتنظيم والشمول، بمعنى انها تؤدى وفق السياسة العامة للمجتمع وفلسفته الخاصة ووفق خطط مرسومة منتظمة.
4. ترتبط الرعاية الاجتماعية بحضارة المجتمع وإمكانياته وموارده ونظمه الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والأخلاقية والدينية.
5. للرعاية الاجتماعية مؤسسات خاصة بها دولية او حكومية او اهلية ولها فلسفتها ولوائحها التي تحدد برامجها وأهدافها.
6. تمول الرعاية الاجتماعية من موارد المجتمع ذاته سواء عن طريق الضرائب التي يدفعها المواطنون للدولة او عن طريق الهيئات الخاصة التي تلجا لأفراد المجتمع نفسهم مساعدتها عن طرق الهبات او التبرعات...الخ.
7. يمارس الرعاية الاجتماعية متخصصون مهنيون في كافة مجالات الخدامات المختلفة كالطب البشري والنفسي والأخصائي الاجتماعي والمدرب والموجه.. الخ، يعاونهم في ذلك اجهزة اداريو وفنية للمعاونة في توصيل خدماتهم الى مستحقيها ولتزويدهم بالبيانات الهامة.
8. الرعاية الاجتماعية في ذاتها قيمة اخلاقية مجردة استمدت وجودها من القيم الروحية والإنسانية التي تحث على مساعدة الانسان على اخوه الانسان.

ثانياً/ الخدمات والبرامج المقدمة للرعاية الاجتماعية

إنَّ الانسان بطبيعته كما يقول علماء الاجتماع مخلوق اجتماعي **(Social being)** يتفاعل ويتأثر ويؤثر بمختلف المواقف، وخاصة تلك الفترة الاخيرة من عمره التي لها مميزاتها الخاصة البيولوجية والنفسية والاجتماعية، فلذا يجب الاهتمام بالمسن وفق اطار منظم مخطط بحيث يخفف من حدة القلق والتوتر عن طريق توفير المناخ المناسب والرعاية الاجتماعية والصحية وملا الفراغ لهم، حتى نكون قد ادينا بعض تعاليمنا الشرعية والأخلاقية والاجتماعية والمتمثلة بالمفهوم الاوسع الجانب الانساني في المجتمع، هذا من جهة ومن اخرى تدعيم ثقة المسنين بأنفسهم في المستقبل من حيث اهمية قدراتهم وخبراتهم

1. أحمد كمال احمد، مناهج الخدمة الاجتماعية في المجتمع الاسلامي، مكتبة الخارجي، القاهرة، د.ت، ص9.

باعتبارهم لا يزالون يشكلون افرادا غير مستغنى عن خدماتهم، بل انهم احد الاهداف الحيوية التي يجب تحقيقها من خلال البرامج الخاصة لهم، ورعايتهم ضرورة من ضروريات المجتمع ومن الحقوق الاساسية التي كفلتها القوانين السماوية والوضعية على حد سواء، وباعتبار ان كبار السن يمثلون اهم فئات المجتمع التي ضحت بعمرها وافنت سنوات حياتها في البذل والعطاء من اجل رقي المجتمع وديمومته، فان توفير برامج الرعاية الاجتماعية يصبح مطلبا حيويا وضرورة تتحمل مسؤولياتها الاجيال الحالية والقادمة والمنظمات الحكومية والأهلية، ولاسيما نحن نعيش اليوم في عصر حقوق الانسان والذي يعتبر المجتمع المدني احد المتغيرات الاساسية له ومن الممكن ان يلعب دورا ايجابيا في تعزيز وتأكيد حقوق الانسان في المجتمع، من خلال انماطه المختلفة ومنها الدور المحوري له في التنمية المستدامة والبشرية كأحد روافدها، بحيث تيسر للبشر الحصول على الفرص المتنوعة والتي يمكن ان تشكل اساسا لنوعية انسانية ملائمة. فالمسنون بصفة عامة من اكثر الفئات الاجتماعية حاجة الى التدخل الاجتماعي والمتمثل بالأعمال والنشاطات التي تعين وتحافظ وتنمي الوظائف الاجتماعية والنفسية والعضوية والأسرية للمسنين ومحاولة اشباع حاجاتهم الشخصية مع الاحتفاظ بالفروق الفردية لهم من حيث الخصائص الاجتماعية والصحية والنفسية، كما ان القيم والعادات والتقاليد تؤثر في طبيعة التدخل الاجتماعي، بل ونوع الخدمات التي تقدم للمسنين، ونضيف الى ذلك إنَّ درجة الوعي بمشكلات المسنين من قبل المجتمع مهمة جدا في مدى مساهمته بتقديم المساعدات ودعم الاعمال التطوعية من قبل منظمات المجتمع المدني الموجهة للمسنين من خلال ازدياد عدد هذه المنظمات على كافة المستويات الثقافية والترفيهية والتأهيلية والمالية وغيرها، ويبقى دور الجهات الرسمية محصورا في الحاجات الملحة للمسنين، وفي الخدمات التي لا تستطيع المؤسسات غير الحكومية القيام بها، ولذلك سوف نستعرض اهم النشاطات والخدمات لمؤسسات المجتمع المدني التي تقدمها للرعاية الاجتماعية للمسنين:

أولا: برامج الخدمات الصحية:

تزداد أهمية الرعاية الصحية مع ازدياد اعدادهم[1]، ويمثل كبار السن اكثر الفئات العمرية المستهلكة للخدمات الطبية والدوائية، فمع التقدم في العمر تزداد الاصابة بالامراض المختلفة وتقل مناعة الجسم وترتفع بين المسنين الامراض المزمنة مقارنة بالفئات الاخرى، مما يجعل حاجاتهم للخدمات الطبية ملحة جدا، وقد نجد ذلك ملحوظا عند تعرض المجتمع للكوارث الطبيعية والصراعات السياسية والحروب والظروف الاستثنائية الطارئة. ومصداقا لذلك ما تعرض اليه المجتمع العراقي بعد عام 2003 من احتلال لمناطقه الشمالية وبعض الغربية من قبل ما يسمى بـ (داعش الارهابي)، وما حصل فيها من قتل وتهجير ودمار وتعرض شريحة المسنين الى المخاطر والانتهاك لأبسط حقوق الإنسان حيث سارعت الكثير من المنظمات التطوعية على شكل جمعيات أو اتحدت لمساعدتهم من خلال الزيارات الميدانية وتقديم اللوازم الصحية لهم او التدخل الوقائي الاولي والثانوي*، هذا من جهة ومن اخرى هو مساعدة اسر المسنين ماديا للوفاء باحتياجات المسنين كما استخدمت التدخل المكثف الذي يهدف الى محاولة المحافظة بقدر الامكان على نشاطات المسن اليومية وقواه لجسمانية والعقلية والنفسية ومنع المزيد من تدهور حالته بصورة عامة وهذا ما حصل عند تمركز النازحين والمشردين في مجمعات سكنية ثابتة.

ثانيا: برامج الرعاية الاقتصادية:

من البديهي كلما تقدم عمر المسن في العمر ازداد حاجاته لمواجهة المشكلات التي تتزايد أمامه في نفس الوقت الذي تنخفض فيه مواردهم المالية بعد تقاعدهم عن العمل، ولذا نجد من الضروري معاونته على الموازنة بين موارده واحتياجاته من خلال زيادة موارد المسن المالية من ناحية، ومن اخرى منحه تسهيلات في تكاليف الخدمات التي يحتاجها من حيث تخفيض تكلفتها بالنسبة لهم أو في توفيرها من جانب المتطوعين، وكذلك استثمار خبراتهم في اعمال مناسبة يحصلون مقابلها على اجور

1. ترجع هذه الزيادة الى ارتفاع مستوى الرعاية الصحية والعلاجية والوقائية، حيث كانت معدلات التوقعات العمرية التي ارتفعت من 63 سنة عام 1990م الى 69 سنة عام 2000م، وارتفعت الى 72 سنة عام 2010م ويتوقع ان ترتفع الى 75 سنة عام 2025، ينظر: عبدالعزيز ابن علي ابن رشيد الغريب: المكانة الاجتماعية للمسنين، مكتبة الملك فهد، الرياض، 2005، ص15.

* لعبت ظاهرة العولمة دورا مؤثرا في تعظيم حجم منظمات المجتمع المدني وتحديث نوعية الادوار المعاصرة التي تؤديها في تنمية المجتمع، وهي ادوار تختلف الى حد كبير عما كانت تقوم به هذه المنظمات في الماضي .

ومكافئات مناسبة، وتوفير احتياجاتهم من علاج وتغذية ومسكن من خلال الاستعانة بالجهود التطوعية والجمعيات ومنظمات او مؤسسات المجتمع المدني.

ثالثا: البرامج الترفيهية (الترويحية):

في ضوء المتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي يمر بها المجتمع العراقي وما يترتب عليها من اثار تظهر الحاجة الضرورية الى منظمات المجتمع المدني ان تأخذ دورها في تطوير برامجها الحالية، لتواكب عملية التغير بصورة عامة، وما اصاب الفرد العراقي بالذات وبالخصوص المسنين من حرمان وتوتر عصبي وضغط نفسي نتيجة لهذه الاحداث والظروف الاستثنائية التي مر بها البلد من احتلال داعش وانتشار منظومة الفساد حالت دون الاهتمام الجيد في برنامج الرعاية الاجتماعية حسب خطتها العلمية، ولا شك ان هذه المنظمات بكل انواعها الدينية والثقافية والترفيهية وغيرها كان لها فضل المبادأة في تقديم برامج الرعاية للمسنين، ولقد اخذت هذه البرامج صورة المساعدات من مواد عينية ومعونات مادية اكثر الاحيان لإسعاف حالات الانسانية الضرورية الذي تعرض لها المجتمع وبالأخص المسنين. وفي ظل ظروف الاستقرار النسبي للمجتمع العراقي لابد من الالتفات الى جانب البرامج الترويحية والترفيهية للمسنين، وحث منظمات المجتمع المدني على اخذ دورها الريادي في هذا المجال من اجل معاونة المسن والقضاء على العزلة عن المجتمع ودمجه في المجتمع والشعور بأهميته من خلال توفير هذه البرامج في مساعدة كبار السن(**Old age Assictance**)، وتسمى هذه التنظيمات أو الجماعات التي تقوم بهذه البرامج (جماعات الترويح **Recreation group**) وهي نوع من انواع الجماعات في الخدمة الاجتماعية تستهدف تحقيق المتعة والتسلية والفائدة وقضاء الوقت من خلال ممارسة انشطة رياضية وترويحية وترفيهية مختلفة، وقد استخدمت بمفهوم (المساندة الاجتماعية **Social support**) في بعض المجتمعات، والتي تعني مجموع الانشطة والبرامج الرسمية وغير الرسمية لتي تعمل على توفير الدعم والمساندة للأشخاص الذي يواجهون ظروفا واوضاعا اجتماعية صعبة، ومن أهمها الرعاية الاجتماعية بجوانبها كافة والهوية الاجتماعية وتوفير التعليم والدخل[1]. وجماعات الترويح تعتبر الية مفيدة وفاعلة في اشعار اعضائها بالرضا والسعادة والإشباع والمتعة، كما تعمل هذه الجماعات على تنمية الاحساس بالثقة وتنمية المهارات الاجتماعية والاتجاهات الايجابية نحو العمل البّناء، وهي تسهم بدرجة كبيرة بالتخفيف من الضغوط النفسية والاجتماعية التي يواجهونها كبار السن وتساعدهم في التعامل مع مشكلات العزلة ووقت الفراغ، فالبرامج الترويحية في هذا الصدد هو قضاء ساعات من ساعات الفراغ في نشاطات اجتماعية أو ثقافية أو رياضية، فمن مظاهر **الترويح الاجتماعي** على سبيل المثال تهيئة الفرصة للمسنين للاجتماع بعضهم مع بعض تحت سقف واحد وفي اوقات معينة يتبادلون فيها الحديث ويستعيدون الذكريات ويبثون همومهم وشجونهم، فالمسنون عادة ما يجدون في المسنين امثالهم من يفهمهم ويتوافق معهم بالآراء والأفكار، وتتنوع بالألعاب التسلية كالشطرنج والزيارات الدينية وزيارة الحدائق العامة وغيرها، ولهذا تسعى المؤسسات المعنية بإنشاء ما يسمى **(اندية المسنين)**، لما تجمعهم من مشتركات نفسية واجتماعية فيما بينهم، فهم يحبون اللقاء بينهم عندما يجتمعون سوية حول اهتماماتهم المشتركة وحول ذكرياتهم التي يتلذذون بالحديث عنها، حيث ان هذه الاندية سوف تشغل وقت فراغهم بطريقة ايجابية افضل بكثير من جلوسهم على المقاهي او انشغالهم بخلق المشكلات الأسرية، وتتوافر في هذه الاندية الانشطة المختلفة من ناحية ومن ناحية اخرى هو ربط المسن بالحياة، فمن الممكن ان يشترك المسنين في لجان ادارة وعقد الندوات مع الادباء والفنانين ومناقشة مشكلات المجتمع بطريقة منظمة، كما ان مثل هذه الاندية تساعد على خلق وتقوية العلاقات الاجتماعية بينهم، بل ومن الممكن ان تمتد هذه العلاقات خارج نطاق النادي مما يشعر المسن بان لديه اصدقاء جدد يسالون ليه ويتبادل معهم وجهات النظر في قضاياه، والرحلات والسفرات السياحية التي تجمع المسنين بخلق صداقات جديدة وتدعم صداقات سابقة، وكذلك تجمعهم مع أفراد أسرهم حيث يتم خلالها التفاعل والتأثير المتبادل بين الاجيال من سرور وانشراح وكذلك النشاطات والبرامج الرياضية الملائمة حياة للمسن[2]، فهي من ناحية وسيلة من وسائل شغل اوقات الفراغ، ومن ناحية اخرى فإنها تساعد المسن في بدنه وعقله وتدفع عنه الخمول والكسل والمرض، وتظهر هذه في صورة المشي لأنه مفيد جدا لصحة

1. عبد الناصر سليم حامد: معجم مصطلحات الخدمة الاجتماعية، دار اسامة، عمان، 2012، ص511.
2. ابراهيم محمد العبيدي: علم الشيخوخة الاجتماعي، دار الزهراء للطبع والتوزيع، الرياض، 2004، ص206.

المسنين، وكذلك ممارسة بعض التمرينات السويدية الخفيفة التي تساعد على تنشيط الدورة الدموية وتقوية العضلات، اما النشاطات والبرامج الثقافية الملائمة لمستوى المسن الثقافي من شانها ان تحفز العقل وتساعده على تنشيط العمليات العقلية والذهنية، اضافة الى اكتساب المعارف التي من شانها ان تساعد المسن في حياته وآخرته، وهي تتمثل في الندوات بمختلف انواعها والمحاضرات الأخرى كما يدخل ضمنها **النشاط الفني** وهو يتضمن الحفلات والرسم والنحت والتصوير والتمثيل والموسيقى والأشغال اليدوية وغيرها.

هذه البرامج لها اثر عظيم في حياة المسنين وتحقق لنا الاهداف المرسومة في خلق امن اجتماعي هادف الى تحقيق الرفاهية والطمأنينة والاستقرار، من خلال اشباع الاحتياجات العاطفية والضرورية لهم وإتاحة الفرصة لإقامة علاقات اجتماعية جديدة وتبادل الرأي والمشورة والتجربة بين المسنين وبعضهم والاستمتاع بالبرامج الترويحية في شكل جماعي يؤدي الى شغل اوقات الفراغ بطريقة ايجابية والتفتيش عن مشاعر المسن في حرية وصراحة.

المبحث الخامس: المعوقات التي تقابل مجال رعاية المسنين

1. عدم توفر الاساليب المناسبة لممارسة الترويح، أو نواع الرياضة الخاصة بمن بلغوا من السن تقدما، وها الامر يحتاج الى تدخل وتعاون الاجهزة المعنية للإشراف على توفر مثل هذه الوسائل.
2. عدم توفر احصاءات تؤكد او تبين حجم او تعداد المسنين في المجتمع، أو تصنيفهم حسب قابلياتهم أو احتياجاتهم من الرعاية سواء الصحية أو العملية أو الإيوائية أو الترويحية.
3. قصور في الاعداد العلمي للعاملين في هذا المجال بما يتناسب والعمل مع المسنين، وعدم توفر الرؤية لديهم عن كيفية اشباع الاحتياجات الخاصة بهذه المرحلة من العمر.
4. عدم الاهتمام بتنظيم العمل بين المسنين، وربما تكون ظاهرة البطالة لبعض شباب المجتمع سببا في احجام بعض المجتمعات عن تنظيم ذلك، ولكن هذا لا يعفى الدولة من مسؤوليتا تجاه هذا الموضوع، لان العبرة في سوق العمالة لكفاءة ومدى الاستفادة منها.
5. عدم وضع رعاية المسنين في مكانها المناسب من حيث اولويات الرعاية التي توليها الدولة أهمية، ويجب ان توفر الدولة الاعتمدات المالية في ميزانيتها لتوفير برامج الرعاية المناسبة.
6. قلة عدد المؤسسات الايوائية و المتخصصة في رعاية المسنين.
7. عدم توفر كادر من الاطباء المتخصصون في لعاج امراض الشيخوخة المتعددة وهي نتيجة طبيعية ومصاحبة للبلوغ الى هذا السن المتقدم.

المبحث السادس: التوصيات والمقترحات Recommendations & proposals

1. المشاركة المجتمعية في تظافر كافة الجهود من اساتذة الجمعة الجامعة والمسؤولين في منظمات المجتمع المدني مع الجهود الحكومية لوضع حلول اجتماعية على مستوى المجتمع ككل، وتشجيع الجهود الرامية الى انشاء مؤسسات واندية لرعاية المسنين اجتماعيا ومهنيا وثقافيا.
2. تقديم وتدعيم الخدمات والمساندة والرعاية البديلة للمسنين، والاهتمام بعملية الدمج الاجتماعي للمسنين مع اسرهم وبيئاتهم اكثر من الاعتماد على وضعهم في مؤسسات إيوائية تعزلهم عن المجتمع وتؤدي بحياتهم مبكرة، وبنفس الوقت يغنينا من الانفاق المالي للدولة في هذا الاتجاه ليكون في مجال رعايتهم ترويحيا وترفيها على الافضل.
3. توفير الرعاية الصحية المجانية وتخصيص عيادات طبية خاصة بهم بما فيها الادوية المجانية في كافة فروع الطب مع العناية بالناحية النفسية.
4. مضاعفة عدد فرص للراغبين بالحج وتقديم تسهيلات لهم.
5. مساهمة وسائل الاعلام المختلفة في دعم ثقافة رعاية المسنين وكيفية التعامل معهم وابراز الخلفية الدينية لمجتمعنا الاسلامي والشرقي في الحث على رعايتهم.

6. انشاء المجلس الوطني للمسنين كهيئة عامة في العراق او انشاء جمعيات خاصة بهم ودعمهم لها.

7. مخاطبة وزارت التعليم العالي والبحث العلمي بمفاتحة كليات الطب بتضمين فرع يسمى طب المسنين يضاف الى المناهج الدراسية، لان ذلك يعطي وعيا وكفاءة للتعامل مع همة المسنين في مستوى الرعاية الاولية.

8. مناشدة مجلس الوزراء بالتنسيق مع الهيئات الدولية (الامم المتحدة) ووكالتها المتخصصة برعاية المسنين للتوسع بخدماتهم افقيا وراسيا.

9. دعم وتشجيع التأليف والترجمة في موضوعات رعاية المسنين في النواحي الطبية والاجتماعية والنفسية والمهنية لتكون مساعدا في تبادل المعلومات امام الباحثين والدارسين في هذا المجال والاستفادة منها عمليا.

10. زيادة الدعم المالي وإقراره في الموازنة العامة للدولة سنويا لوزارة العمل والشؤون الاجتماعية والوزارات المعنية بذلك.

11. توفير البرامج الترفيهية الثقافية والرياضية والتوسع في انشاء المراكز الخاصة للمسنين، مع مُنح مالية تتناسب ومتطلباتهم الضرورية .

المصادر والمراجع:

*** القرآن الكريم**

1. إبراهيم محمد العبيدي علم الشيخوخة الاجتماعي. دار الزهراء للنشر والتوزيع، الرياض، 2003
2. أحمد خاطر: الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 1984.
3. أحمد كمال احمد: مقدمة الرعاية الاجتماعية، مكتبة النهظة، القاهرة، 1976.
4. أحمد كمال احمد: مناهج الخدمة الاجتماعية، مكتبة الخانجي: القاهرة، 1971.
5. أحمد مصطفى ناصر: الخدمة الاجتماعية نظرة تاريخية، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 1984.
6. برهان غيون: المجتمع المدني من المفهوم المجرد الى المنظومة الاجتماعية الدولية فعاليات ندوة المجتمع المدني واشكالية التحول الديمقراطي، مركز الوثائق والدراسات الانسانية، جامعة قطر، 2001.
7. جون اهزنبرنغ، ترجمة علي حاتم صالح، المجتمع المدني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2009
8. رشا أحمد عبد اللطيف: طريقة تنظيم المجتمع في الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 1999.
9. سمير حسن منصور وسامية محمد فهمي: الرعاية الاجتماعية (اساسايات ونماذج معاصر)، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2004.
10. سيف الدين عبد الفتاح: المجتمع المدني وابعاده الفكرية، دار الفكر المعاصر، بيروت، 2003.
11. عبد الناصر سليم حامد: معجم مصطلحات الخدمة الاجتماعية، دار اسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2012.
12. عبدالعزيز ابن علي ابن رشيد الغريب: المكانة الاجتماعية للمسنين، مكتبة الملك فهد، الرياض، 2005.
13. عزت حجازي: واقع المجتمع المدني العربي ومستقبله، مجلة العلوم الاجتماعية، مجلة 35، عدد 1، 2007.
14. علي عبد الصادق: المجتمع المدني قراءة اولية، المحروسة للنشر والخدمات، القاهرة.
15. علي ليلى: المجتمع المدني العربي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 2007.
16. قانون إصلاح النظام القانوني رقم 135 لسنة 1977.
17. كريم محمد حمزة وعدنان ياسين: اهداف الامن الانساني التي تحققها بكة الحماية الاجتماعية للاطفال في العراق، دراسة مقدمة الى المؤتمر العلمي الثالث للدفاع عن حقوق الطفل، بغداد، 2007
18. كريم محمد حمزة: شبكة الحماية الاجتماعية في العراق مزايا ومعوقات، مجلة دراسات اقتصادية، العدد 19، 2007.
19. مازن خليل غرايبة: المجتمع المدني والتكامل دراسة في التجربة العربية، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ابو ضبي، 2002.
20. محمد سعيد فرح: مجموعة من الدراسات والبحوث في علم الاجتماع، مركز البحوث الدراسات الاجتماعية، القاهرة، 2003.

21. محمد سيد فهمي، الرعاية الاجتماعية وانفسية للمسنين، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 2012.
22. المعحم الوجيز: مجمع اللغة العربية، مطابع وزراة التربية والتعليم، القاهرة، 1990.
23. نخبة من المؤلفين: المدينة والحياة المدنية، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، 1988.
24. Gohn M, Romanyshyn , Social welfare, N.Y, 1971, P.4.